المبحث الخامس عشر:

الإبداع الدبلوماسي

البند الأول: تعاريف الدبلوماسية.

قبل الولوج في مسألة الإبداع الدبلوماسي، من المفيد أن نشير إلى بعض التعاريف التي وضعها البعض من العرب وغير العرب للدبلوماسية مثل :

(هي مجموعة القواعد والإجراءات والمراسيم والمؤسسات والأعراف الدولية وتنظيم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين) "سعيد ابو عباه"

وقيل: (هي استعمال الذكاء والكياسة في إدارة العلاقات الدولية، بين الدول المستقلة) "أرنست ساتو"

كما عرفت بأنها: (هي علم العلاقات القائمة بين الدول المنبثقة عن مصالحها المتبادلة، ومن مبادئ القانون الدولي، وأحكام الاتفاقات الدولية) "شارل كالفو"

بينما عرفها "شارل مارتنس" بقوله : (هي علم العلاقات ، وعلم المفاوضات)

أما تعريف "ريفيه" (فقد جاء فيه شيء من التفصيل، حينما قال بأنها: (هي علم وفن تمثيل الدول و.. المفاوضات)

البند الثاني: الدبلوماسي والإبداع.

في ضوء ذلك لابد لنا من أن نسأل، هل يمكن أن يشهد العمل الدبلوماسي إبداعاً، على المستوى الفردي والمؤسساتي، دولياً وإقليمياً، في ظل قوانين داخلية ودولية قد تكون في بعض الأحيان صارمة ومعيقة للإبداع ولحرية المبادرة والإقدام التي يتطلبها الإبداع في كثير من الأحيان.

هذا الابداع الذي يمكن أن تشهده وزارات الخارجية أو بعثاتها أو تشهده المنظمات الدولية ومنابرها، ومؤتمراتها وما تشهده تلك المؤتمرات من حوارات ومفاوضات

obeikandi.com

وكواليس وسواها، ومن المعروف أن الدبلوماسية تمارس من خلال مستويات متعددة، يأتي في مقدمتها وزارة الخارجية كما يمكن أن تمارس من خلال دبلوماسيات القمة التي يقوم بها رؤساء الدول والمنظمات الدولية، ويمكن أن تمارس من خلال المبعوثين الدبلوماسيين { السفراء - القناصل – المبعوثين الإقليميين – والدوليين وسفراء المساعي الحميدة ...الخ) ؟

في البداية لابد من القول أن الدبلوماسية تحكمها، عوامل عدة تتحكم بها، وتؤثر بمجرياتها شكلياً وجوهرياً، هذا التأثير الذي تعكسه قواعد وتقاليد ومتغيرات، بل نجدها في أحيان كثيرة ملزمة وخاصة تلك التي تصدر عن مؤسسات معنية ومسؤولة، وهذا لا يعني بأن الفرد لا يؤثر فيها ويُسهم في نتائجها الشكلية والجوهرية، وهنا لابد من أن نلمس تأثيره في مثل هذه القرارات، التي تصدر عن هذه المؤسسة أو تلك التي يعمل بها، ومن هذه العوامل المؤثرة في العمل والإبداع الدبلوماسي "إن وجد" ما سنشير إليه فيما يلي:

البند الثالث: العوامل المؤثرة بالإبداع الدبلوماسي.

أولاً: المصالح الحيوية المتبادلة بين الدول.

ثانياً: مؤسسات صنع القرار، ومدى تأثير علاقاتها بالشركات متعددة الجنسيات، أو عابرة القارات، هذه الشركات التي (تسترد ما أوهب وتسقط ما أوجب).

ثالثاً: تأثير المتغيرات الداخلية والإقليمية والدولية القاهرة، ومدى تأثيرها على المناخ السياسي الإقليمي والدولي وعلى مستوى الدولة البسيطة والمركبة.

رابعاً: تأثير الوزن السياسي والاقتصادي الدولي لبلد الدبلوماسي المُعتمد و المتمثل في الإمكانات البشرية والثروات الاقتصادية والعسكرية المميزة لبلاده .

خامساً: القدرات الذاتية للدبلوماسي المُعتمد، كالذكاء والحنكة الدبلوماسية واللغات التي يجيدها والاختصاصات التي يحملها، والمواهب التي يتسم بها.

سادساً: المعرفة الدقيقة للدبلوماسي بتاريخ البلد المعتمد لديه ولثقافته وعاداته وتقاليده وتراثه.

سابعاً - فهم الدبلوماسي الدقيق لثوابت الدولة المعتمد لديها، والتي يجب أن يأخذها بعين الاعتبار، لأن لثوابت الأمم الأثر الكبير في رسم سياساتها ونهج دبلوماسييها وخطط دولها، وهذا لابد وأن ينعكس على الفعالية الفردية والدولي في المجال الدبلوماسي، وهذا العامل الأخير الذي قد يكون سبباً رئيسياً في فشل الكثير من الدبلوماسيين الذين لا يعيرونه الانتباه الذي يستحقه، هذا العامل الذي يقف بصلابة إلى جانب عامل مهم آخر هو المصالح الدولية، حيث تتحرك الدبلوماسية وفرسانها في هوامش هذين العاملين الكبيرين الأساسيين.

وعلى هذا الأساس نستطيع القول، بأن العوامل الموضوعية تتداخل بالعوامل الذاتية في العمل الدبلوماسي على كافة المستويات وخاصة في بناء العلاقات بين الدول، وحل مشاكلها ومنازعاتها الثنائية والجماعية.

البند الرابع: التداخل بين الذاتي والموضوعي دبلوماسياً.

رغم التداخل بين الذاتي والموضوعي، إلا أننا لا نستطيع أن نقول بحيادية الدبلوماسي وعدم قدرته على التأثير وحتى على الإبداع في هذا المجال، لأننا عشنا وسمعنا عن شخصيات دبلوماسية (عربية وأجنبية) عديده لعبت أدواراً هامة ومميزة في حل مشاكل معقدة بين الدول، واستطاعت أن تجنب حتى البشرية ويلات الحروب، كما عشنا وسمعنا عن شخصيات عديدة مارست دبلوماسية التضليل والإيقاع بالشعوب والمساومة على حقوقها، والتلاعب في مصائرها من خلال التحالفات والصفقات التي ترفضها الأمم الحرة ولازالت ترفضها وتناضل لإزالتها أو تصحح الخلل فيها.

البند الخامس. أشكال الدبلوماسية

ونستطيع ضرب العديد من الأمثلة حول ذلك مثل:

- **الدبلوماسية المتحركة.**

ومثالها التحرك الدبلوماسي الذي تقوم به شخصيات هامة مثل.

1 - داغ همرشولد - الأمين العام للأمم المتحدة الذي قتل عام 1961 بتحطم طائرته في إفريقيا وهو يقوم بمهمة دبلوماسية، وقد أشارت أصابع الاتهام الى دور الصهيونية في هذا العمل الإجرامي .

2 - الكونت برنادوت - الذي قتل من قبل الإسرائيليين وهو بمهمة دبلوماسية نبيلة عام 1948 لأن تقريره لم يكن بصالح الإسرائيليين، حيث أكد من خلاله ضم النقب الى الأراضي العربية (3مليون فدان).

3 - دبلوماسية جورج بوش حول العراق واتهاماتها الكاذبة والباطلة ضد العراق تبريرا لغزوه.

4 - دبلوماسية ما سمي ب(الفوضى الخلاقة) وكونداليزا رايس والربيع العربي الذي دمر البلدان العربية بحجة تعميم وترسيخ الديموقراطية، والتي استهدفت البلدان العربية التي وقفت بصلابة ضد هذه الدبلوماسيات الهادفة إلى إعادة الهيمنة على المنطقة العربية، وتحقيق المزيد من التفتيت المجتمعي والجغرافي لها .

- **الدبلوماسية الصامتة:**

وقد عرف برجل الدبلوماسية الصامتة وزير خارجية السويد السابق {ستين أندرسون} الذي نشط بصمت في سبيل تقريب وجهات النظر بين الفلسطينيين بقيادة المرحوم "عرفات" والاحتلال الإسرائيلي وذلك من خلال ما سمي (بالدبلوماسية الصامتة).

والدبلوماسية الصامتة تهدف إلى (1) تجنب إعلان الفشل على الملأ، بحيث لا يؤثر على الهدف.(2) تجنب إراقة ماء وجه الأطراف المتنازعة.(3) تفويت الفرص على القوى المضادة للمفاوضات من تخريبها.(4)الحفاظ على الأمل لدى جمهور الهدف.

والجدير بالذكر فقد كثرت التسميات التي أطلقت على الدبلوماسية مثل (دبلوماسية المصافحة – بين السادات و بن غوريون - دبلوماسية القبل بين مادلين أولبرايت وعمر موسى – دبلوماسية الملاحقة بعد حرب يوغسلافيا - دبلوماسية التضليل في عهد السياسة الاميركية) ومن هذه التسميات.

شعارات دبلوماسية:

ونشير إلى أن بعض الدول الكبرى طرحت شعارات دبلوماسية فأخذت الدبلوماسية الى حقول ومسارات ومهمات مهلكة تتنافى ومهام الدبلوماسية، هذه الدبلوماسية وشعاراتها لا تعدو كونها تمهيد لإعلان حرب دبلوماسية مثيلة لحرب حقيقية ضد الشعوب مثل الشعار الذي طرحته السياسة الاميركية بلسان (كونداليزا رايس) "الفوضى الخلاقة" التي اخذت مفاعيل خطيرة و مختلفة في الشرق الاوسط حيث خلط الاوراق وتضييع البوصلة، {والربيع الغربي وليس العربي"....الخ) والتي أدت الى ضرب تونس ومصر وليبيا والعراق - وسورية - واليمن) هذه الدول التي يقف بعضها، بشكل أو بآخر ضد الهيمنة الغربية، وتشكل عقبات كأداء، في سبيل السياسة الامريكية وبخاصة سورية والعراق.

الدبلوماسية المكوكية:

ومثالها الدبلوماسية التي كان يقودها ويمارسها وزير الخارجية الأميركية في الشرق الاوسط (هنري كيسنجر) وجزئيا كولن باول، وغيرهم...الخ.

دبلوماسية المثانة:

obeikandl.com

التي اشتهرت إبان عهد الرئيس حافظ الأسد الذي عُرف دبلوماسيته بالصبر والأناة والقدرة على التحمل، بإدارة الحوار لساعات طويلة حيث اضطر "بيكر" وزير خارجية أميركا رفع المحرمة البيضاء أمام الرئيس الأسد، معلناً عدم تحمله واستسلامه، بعد 12 ساعة من المباحثات مع الرئيس الأسد حول السلام في جلسة واحدة .

دبلوماسية المسار:

إن هذ المصطلح (دبلوماسية المسار) لم يستخدم من قبل وأنا اطرحه مجدداً، بغية تبيان السلوك الدبلوماسي الذي يمكن ابتداعه في مجال من المجالات ذات الأهمية القصوى، والتي قد تفرضه ظروف أو يستلزمها حدث، أو أن يقرره معنيان في صنع القرار بعد شعورهما بأن رقيبا ما أو ظرفا قاهرا ما، يعيق حريتهما أو حرية أحدهما ويعرقل نقاشهما او مفوضاتهما، كأن يريدا أن يبقى هذا الحوار أو المفاوضات سرية في مراحلها الأولى ، ورغبة في إضفاء سمات سرية إضافية ، على الموضوع المناقش ، من قبل المتفاوضين ، فيقروا أن يلجاءا، إلى " دبلوماسية المسار" بالسير معا في المجال الطلق بعيدا عن أذن الرقابة وأدوات الرقيب التي ترصد في عصر التقنيات وثورة الاتصالات وتمارس مختلف أسا ليب (التجسس).

وهذ ما لجأ إليه { ظريف – كيري} حينما شعر رئيس و مُنفذ الدبلوماسية الأمريكية بأن اسرائيل تحاول التجسس والعمل على حرف وعرقلة مسار مفاوضات النووي مع إيران، وقد يكون المشتكي من ذلك يما رس تضليلاً و خدعة يريد من خلالها أن يتخلص من مواقف سابقة علقت به، أو أ نه يريد أن يظهر نفسه بالحيادية والجدية و بالبراءة أو بالمغلوب على أمره، وبأنه سوف يتخذ موقفه أو قراره المقبل رغم كل هذه المعيقات.

هذه الاحتمالات التي يجب أن وتوضع في الحسبان، كي لا يقع المعني أو المستهدف في مطبات الدبلسة المضللة، و التي يمكن أن توقع بطرف من الأطراف التي يتم المحاولة معها لكي تتخلخل مواقفها وأن يعدل قرارها.